أسواق العراق الرئيسة في العصر العباسي

د. محمد صديق حسن[*]

المقدمـة:

اعتبرت الأسواق من المظاهر الأساسية التي امتازت بها المدينة العربية الإسلامية سواء في العراق أو في أقاليم الدولة الأخرى وذلك للدور الكبير الذي أدته هذه الأسواق([١]) في بلورة النظم والأعراف الاقتصادية والاجتماعية والمالية، والأسواق عرفت كما هو معروف لدى العرب قبل الإسلام وكانت هذه الأسواق على أنواع منها الأسواق السنوية ومنها الأسواق الموسمية، هذا فضلاً عن الأسواق المحلية التي عرفت فيما بعد،وكان يحمل إليها الانتاج الزراعي والصناعي من المناطق المجاورة والقريبة منها [٢]. ومن الواضح أنه يبدو أن العرب بعد أن تحضروا وسكنوا في الحواضر واستقروا فيها لم يعودوا بحاجة إلى الأسواق الموسمية،فقد سكنوا في المدن الكبيرة التي تكتفي كل منها بأسواقها عن أسواق المدن الأخرى[٣].

وقد أدّت الأسواق دوراً كبيراً في حياة الناس بوصفها عنصراً أساسياً للنشاط والحركة والفاعلية، فالسوق يعني مجموعة دكاكين ومصاطب وأبنية بسيطة تتركز فيها الأنشطة الحرفية والتجارية، وقد كانت عمليات البيع والشراء التي تجري داخل

(*) قسم التاريخ . كلية الآداب/جامعة الموصل.

[١] الخربوطلي، علي حسن، الحضارة العربية الاسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١٨٤.

[٢] السمرمد، قيس عبد الواحد،الصنائع والمهن والحرف في المشرق الاسلامي،اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلبة التربية. جامعة بغداد، ٩٩٦،ص٥.

[٣] الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والاسلام، بيروت، ٩٧٤، ص ٢٩٣.

الأسواق لا تقتصر على الانتاج المحلي بل كثيراً ما كان يباع فيها السلع والبضائع المستوردة من مناطق أخرى وبلدان أجنبية أيضاً[١].

وقد شهد العراق منذ تحريره بناء العديد من المدن الكبرى، ومن المؤكد أن لهذه المدن أسواقاً إزدهر فيها النشاط التجاري. وسيتم الحديث عن أسواق العراق الرئيسية وأهمها أسواق بغداد وأسواق البصرة وأسواق الموصل، وقد أدت هذه الأسواق دوراً كبيراً في إزدهار النشاط التجاري والانتعاش الاقتصادي وخاصةً في العصر العباسي.

أسواق بغداد:

عندما باشر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ببناء عاصمة الدولة الجديدة كان من أوليات اهتمامه هو الجانب الاقتصادي، فعمل على الاهتمام بالأسواق من خلال قيامه بتوفير المكان المناسب لها والتشجيع على بناء الحوانيت والأسواق ليكون في كل ربض أو محلة سوق تتجمع فيه مختلف السلع والبضائع من مختلف المناطق[٢]، وقد أخذت الدولة على عاتقها مسؤولية الانفاق على هذه الأسواق من حيث البناء دون أن تتقاضى أي مقابل من التجار الذين شغلوا هذه المحلات[٣]. وقد شكلت الأسواق جزءاً هاماً من المدن وخصوصاً بغداد التي دخلت في التصميم الأساسي للمدينة، فضلاً عن أن موقع بغداد في الأصل كان ملتقى التجارة في العصر الساساني[٤]، وسوقاً عظيمة يعقد مرة واحدة كل شهر[١]. وفي

---

[١] ديمومبين، غوردوفرا، النظم الاسلامية، ترجمة: فيصل السامر وصالح الشماع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٦٤، ص ١٣٠.

[٢] اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب(ت ٢٩٢هـ)، البلدان، الطبعة الأولى، النجف،١٩٥٧، ملحق بكتاب الأعلاق النفسية لابن رستة، طبعة ليدن،١٨٩١، ص ٢٤٥ . ٢٤٦.

[٣] ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد، بغداد مدينة السلام، تحقيق: صالح أحمد العلي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٠٧٧، ص ٤٠.

[٤] الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بيروت، ١٩٩٩، ص١٥٤.١٥٦.

التصميم الأولي للعاصمة كانت الأسواق داخل المدينة، إلاّ أن الخليفة المنصور أمر بنقلها خارج المدينة المدورة، وقد جرت عملية النقل في سنة ١٥٧ هـ/٧٧٥م[٢]، حيث أقيمت عند باب الكرخ وباب الشعير[٣]. وقد اختلفت الروايات بشأن أسباب النقل هذه فرجح بعضهم أن سبب نقل هذه الأسواق هو النصيحة التي أسداها للمنصور رئيس الوفد الذي قدم إلى بغداد من بلاد الروم حينما سأله الخليفة: كيف رأيت مدينتي ؟ فأجاب: رأيت بناء حسناً إلاّ أنني رأيت اعداءك في مدينتك، فقال الخليفة: ومن هم ؟ قال: السوقة[٤]. في حين ذكر بعضهم أن سبب نقل الأسواق هو الدخان الذي تأذى منه الخليفة فقرر نقل هذه الأسواق[٥] في حين رأى البعض أيضاً أن عملية نقل الأسواق جاء بسبب النمو المطرد نتيجة الهجرات المتزايدة إلى بغداد للعمل في التجارة، ولاسيما أن عملية نقل هذه الأسواق قد تمت في سنة ١٥٧ هـ/٧٧٣ م أي بعد مرور مدة طويلة نسبياً على بناء بغداد[٦]. وربما كانت الروايات جميعاً صحيحة وأنها مجتمعة قادت إلى نقل الأسواق إلى خارج المدينة المدورة، في جانب الكرخ، ثمَّ أن هذه الأسواق ضاقت بالناس هي الأخرى فشرعوا في بناء أسواق جديدة، لكنها كانت خارجة عن نظام الصفوف، وقد فرضت الدولة ضريبة قليلة على هذه الأسواق الجديدة[٧]، وثمة ظاهرة برزت في أسواق العراق بصورة عامة ألا وهي نظام التخصص، ووصف اليعقوبي هذه الظاهرة

---

(١) المسري، حسين علي، تجارة العراق في العصر العباسي، الكويت، ١٩٨٢، ص ٨٧.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣١، ج ٧، ص ٧٩.

(٣) **باب الشعير**:محلة ببغداد فوق مدينة المنصور ،كانت ترفأ فيها السفن الآتية من البصرة والموصل، ياقوت الحموي، معجم البلدان،دار صادر ،بيروت،١٩٥٥/١٩٧٥،ج١،ص٣٠٨.

(٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥، ج ٧، ٦٥٣.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٤٨.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج ١، ص٨١ ؛ المسري،تجارة العراق، ص٨٨ .٨٩.

(٧) البلاذري،أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق:صلاح المنجد،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بلا، ص ٢٦١.

بالقول: " وجعل لكل تجارة شوارع معلومة ولا يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة وكل سوق مفردة وكل أهل مهنة مفردون في تجارتهم "[١]. فقد تم فرز أسواق البضائع النفيسة عن أسواق البضائع غير النفيسة والمسالخ والمذابح ومحلات الحديد والزجاج والآجر والصابون كلها في أطراف المدينة، لكي لايتأثر الناس بالقاذورات أو الدخان وغير ذلك من الروائح الكريهة التي ترافق بعض الصناعات أو المهن. أما بالنسبة لبائعي الأطعمة، فقد تفرقوا في المدينة وحسب حاجة الناس. وظاهرة التخصص هذه لم تقتصر على أسواق بغداد فقط، بل شملت سائر أسواق مدن العراق[٢].

ولظاهرة التخصص التي عمت الأسواق العراقية عوامل عدة، لعل أبرزها التوافق بين أصحاب كل صنف من أصناف التجارة، بحيث يؤدي بهم ذلك التوافق إلى الاجتماع في مكان واحد مثل تجار الأقمشة وتجار الملابس وتجار المواد الغذائية وغيرهم، وقد تكون ظاهرة التخصص برزت أيضاً بظهور وظيفة المحتسب أو نظام الحسبة، وخصوصاً في العصر العباسي، لأن الدولة كانت تكلف المحتسب بعدد من المهام، منها أن يتولى صاحب هذه الوظيفة توفير سوق لأهل كل صنف يختص بهم، بحيث تكون صناعتهم بمعزل عن الصناعات الأخرى. ويستنتج من هذا أن الدولة شجعت أيضاً مسألة التخصص في الأسواق، ويمكن أن نضيف سبباً آخر للتخصص هو سهولة اختيار سلعة من الصنف المباع في وقت قصير بحيث أن المشتري لا يلاقي أي صعوبة عند رغبته في شراء سلعة ما[٣]. وقد يتبادر إلى الذهن ها هنا سؤالاً هل أن جميع الأسواق الموجودة في الدولة العباسية أصبحت أسواقاً متخصصة وجعل لكل أهل صنف سوقاً خاصةً بهم؟ وللاجابة على هذا التساؤل نقول انه أنه فضلاً عن الأسواق المتخصصة كان

---

[١] اليعقوبي، البلدان، ص ٣١.

[٢] صالح العلي،التنظيمات الادارية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري،ص٢٦٧.

[٣] السامرائي، حسام الدين قوام، المؤسسات الادارية في الدولة العباسية خلال الفترة ٢٤٧ . ٣٣٤هـ، دمشق، ١٩٧١، ص ٣٠٣ . ٣١٢.

هنالك أسواقاً جامعة تباع فيها أصناف مختلفة من البضائع، وقد ظهر هذا النمط من الأسواق نتيجة السياسة التي اتبعها المنصور، إذ جعل لكل ربض أو محلة سوقاً جامعة لكل التجارات[١]، لذلك انتشرت الأسواق المتخصصة في الدولة العباسية وكان لها تأثير كبير تجلى مظاهره في تشجيع التنافس بين أصحاب كل حرفة. ويقول ابن الجوزي في هذا الصدد: " أن سبب التخصص في الأسواق هو منع أصحاب المهن ذات الروائح الكريهة من مجاورة العطارين "[٢].

ويبدو أن العلاقة بين أصحاب التخصص الواحد أصبحت متينة إلى حد كبير من خلال التكاتف والتعاون فيما بينهم، ولعل أبرز صور ذلك هو تضامن القصابين، فعندما يشعر أي شخص ينتمي إلى سوق القصابين بضائقة مالية يسعى سائر القصابين إلى غلق حوانيتهم لكي يستفيد القصاب الذي يمر بالضائقة[٣]. لذا فقد نمت الأسواق في بغداد بشقيها الشرقي والغربي، وكان من أشهر هذه الأسواق هو سوق الطاق[٤]، كما كان هنالك سوق خضير وهو مخصص لطرائف الصين، ويستطيع المرء أن يجد في هذا السوق كل السلع النادرة من فرو النمور والثعالب حتى عظام الأسماك وزيت كبد الحوت والعنبر وغيرها من السلع النادرة[٥]. وكان هناك سوق الرصافة وهو يقع في الجانب الشرقي، وهو سوق جامع لكل أنواع البضائع[٦]، هذا فضلاً عن سوق يسمى بـ سوق العطش[١]، وسوق

---

[١] اليعقوبي، البلدان، ص ٣٧.

[٢] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، مناقب بغداد، تحقيق: محمد بهجت الأثري، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٢٣، ص ٢٨.

[٣] المسري، تجارة العراق، ص ١٢٧.

[٤] **الطاق**: يقع هذا السوق في الجانب الشرقي من بغداد، وقيل أنه يعود إلى أسماء بنت المنصور .ابن الفقيه، بغداد مدينة السلام، ص ٥٥.

[٥] هل،الحضارة العربية،ترجمة:ابراهيم العدوي،مكتبة الأنجلوالمصرية،القاهرة،١٩٥٦، ص٩١.

[٦] الأزدي، محمد بن أحمد بن المطهر من القرن الرابع الهجري، حكاية أبو القاسم البغدادي، مطبعة كول ونتر، ١٩٠٢، تحقيق: آدم متز، اعادة طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى، بغداد، ص ٢٤.

آخر يسمى بـ سوق يحيى يقع في الجانب الشرقي من بغداد يعود إلى يحيى البرمكي اقطعه إياه الخليفة الرشيد، ثم صار بعد البرامكة لأم جعفر زوجة الرشيد[٢]، فضلاً عن سوق آخر يسمى بسوق العباسة أخت الرشيد، وقد ذكر أن الرشيد تزوج فيها بزبيدة بنت أبي جعفر المنصور سنة ١٦٥ هـ/٧٨١ م، ثم سوق آخر وهو سوق خالد المنسوب إلى خالد بن برمك، وكان إقطاعاً من المهدي ثم بنى فيها الفضل قصر الطين، وكان موقعها في باب الشماسية[٣]. وفضلاً عمّا ذكر فكان هناك في عهد الرشيد عدد آخر من الأسواق منها سوق الثلاثاء[٤]. وكان في الرصافة من بغداد التي اصبحت في عهد الخليفة هارون الرشيد من أُمهات المدن الاسلامية وواحدة من أهم المراكز التجارية في العالم، وكان في بغداد أسواق أخرى منها سوق الحدادين وسوق النحاسين وسوق الجواهر الذي كان يشع بالأحجار الكريمة المزينة بالفنون العربية الاسلامية، فضلاً عن خواتيم الذهب والفضة[٥]، لذلك نلاحظ أن الأسواق في بغداد في عهد الرشيد كانت كثيرة وواسعة ونظيفة وتقوم بتوفير كل ما يحتاجه السكان والذي كان عددهم انذاك يفوق المليوني نسمة مع تخصص هذه الأسواق في بيع بضائع معينة، كما كانت تباع في أسواق بغداد الجواري الفاتنات من مختلف الشعوب التركية والرومية والكرجية والصينية

---

(١) اليعقوبي، البلدان، ص ٤٦ ؛ المسري، تجارة العراق، ص ٩٥.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٩٣.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٧.

(٤) **سوق الثلاثاء**:سوق ببغداد، وفيه بزها الأعظم وسمي بذلك لأنه كان يقوم عليه سوق لأهل كلوذاي وكان يعقد في كل شهر مرة في يوم الثلاثاء، فنسب إلى اليوم الذي كانت تقوم فيه السوق. ينظر: اليعقوبي، البلدان،ص ٣٧.

(٥) ريسلر، جاك، الحضارة العربية، ترجمة: غنيم حمدون، نشر الدار المصرية، بلا تاريخ، ص ٩٩ . ١٠٠؛ عبد الرؤوف، عصام الدين، الحواجز الاسلامية الكبرى، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٧٦، ص ١٢٤.

والحبشية، وكان في بغداد سوق خاص لهُنَّ، وأشهر تجارهنّ شخص يدعى " ابن رامين "[١].

ومن الأسواق الأخرى التي وجدت في بغداد سوق الوراقين وسوق العطارين وسوق البزازين، كما كان هنالك سوق فارسية سمي بـ(جهار سوق) ومعناها الأسواق الأربعة[٢]، وكانت أيضاً في جانب الكرخ أسواق أخرى منها سوق البطيخ الذي كان يختص ببيع الفواكه، فضلاً عن سوق الصرافين وسوق الزياتين ودار القطن[٣]. لذلك عجت أسواق بغداد بحركة المارين وأصوات مطارق أصحاب الحرف[٤]، ويستطيع المرء أن يدرك حجم النشاط التجاري الذي كان سائداً في الأسواق، إلاّ أن أسواق الكرخ بقيت أكثر إزدحاماً، كما كانت أكثر أهمية من حيث التجارة من الجانب الشرقي أي الرصافة[٥]، لذلك حرص أهل العراق على العمل بالتجارة، وكان يشاركهم في ذلك الموالي، بل أن نسبة الموالي الذين يعملون في التجارة كانوا أكثر من العرب، ويتجلى ذلك في قول الشاعر :**وأملت أسواق العراق فلم أجد دكاكينها إلا عليها الموالي**[٦]

أسواق البصرة:

البصرة مدينة عظيمة اختطها المسلمون أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومصّرها عقبة بن غزوان[١] قبل الكوفة بسنة ونصف، وهي كثيرة النخل والأشجار سبخة التربة ملحة الماء[٢].. وتأتي مدينة البصرة بعد بغداد من ناحية

---

[١] الجومرد، هارون الرشيد، ص ١٥٥. ١٥٦.

[٢] لسترانج، غي، بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة: بشير فرنسيس، المطبعة العربية، بغداد،١٩٣٦،ص١٢٢.

[٣] الدوري،عبد العزيز،تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص١٥٤.١٥٦.

[٤] ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٤٥.

[٥] الكبيسي، حمدان عبد المجيد، أسواق بغداد، نشر الثقافة والاعلام، ص ١٢٨ ؛ لسترانج، غي، بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص ٢٧٣.

[٦] الجاحظ،عمرو بن بحر الجاحظ،رسائل الجاحظ، تحقيق:عبد السلام هارون، بغداد، ٢٥١،١٩٧١.

أهميتها بسبب كونها قد امتازت بموقع جغرافي مناسب هو ملتقى البحر والسهل والخصب والصحراء، وكانت البصرة باب العراق ومحطة التجارة الشرقية وملتقى القوافل الآتية من الصحراء حتى وصفت بأنها " قبة الاسلام "[٣]. بينما ذهب بعض المؤرخين في وصف البصرة بمثابة " عين العراق "[٤]. وتأتي الأهمية التي اكتسبتها البصرة من حيث كونها ورثت النشاط التجاري للابلة، فقد تحول تجار هذا المرفأ ونقلوا ثرواتهم إلى البصرة فزادوا عمارتها وتوسعت حدودها وأصبحت البصرة مطمحاً لتجار العالم الاسلامي[٥].

لذلك نشطت بشكل كبير جداً وأخذ تجارها يجوبون العالم حتى قال الجاحظ في ذلك: " ليس في الأرض بلدة واسعة ولا بادية شاسعة ولا طرف من الأطراف إلاّ وأنت واجد بها المديني والبصري والحميري "[٦]، لذلك لا غرابة في أن نجد الجاحظ قد ألّف أول كتاب في التجارة وهو رجل بصري[٧]، ولهذا فقد أدت البصرة في الجنوب دور المرفأ العالمي على الخليج العربي لأكثر من ثلاثة قرون، وقد كانت سفن الهند ترسوا فيها وتصدر عنها مختلف البضائع[٨].

---

[١] ابن حوقل، أبي القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار صادرـ بيروت، بلا، ص .

[٢] القزويني، زكريا بن محمود(ت ٦٨٠ هـ)،آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠،ص٣٩.

[٣] الأفغاني، سعيد، أسواق العرب قبل الاسلام، ص ٧٤.

[٤] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، القاهرة، ١٩٠٨، ص ١١٩.

[٥] محمد، سوادي عبد، تجارات البصرة وطرقها إلى بلدان المغرب العربي الاسلامي من القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الرابع الهجري، البصرة، ١٩٩٠، ص ٢٥.

[٦] الجاحظ، البخلاء، دمشق، ١٩٣٨، ص ٢٩٨.

[٧] الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص ١٥٧.

[٨] مصطفى، شاكر، المدن في الاسلام حتى العصر العباسي، دار السلاسل،الكويت،١٩٨٨،ص٤٣٢.٤٣٣.

أما عن أسواق البصرة، فقد كان أبرزها سوق المربد وهو من الأسواق المشهورة[١] وسوق باب الجامع وسوق الكبير وسوق الكلأ،وهذه الأسواق كانت موجودة في البصرة خلال القرنين الأول والثاني الهجريين، وكان يباع في أسواق البصرة منتوجاتها المختلفة وما يرد إليها من البضائع والسلع من مختلف الأماكن، وكان أهل البصرة يقولون عن أنفسهم: " نحن أكثر الناس ساجاً وعاجاً وخزاً وديباجاً وبرذوناً و هملاجاً "[٢]. هذا وقد اشتهرت البصرة بخزها وبزها وطرائفها وجواهرها، وكان يصنع بها الزعفر والزنجات ومنها تنقل الحناء والتمور إلى مختلف بلدان العالم[٣].

وبعد وصول العباسيين إلى الخلافة إزدهرت التجارة الاسلامية مع المشرق الأقصى لأن العراق أصبح المركز التجاري للدولة الاسلامية وأصبح الخليج العربي الطريق الرئيسي للتجارة الهندية الواسعة، وقد صار ميناء البصرة(الأبلة) نقطة البداية لهذا الطريق[٤].

ويبدو أن الخلفاء العباسيين كانوا يدركون أهمية البصرة، وخصوصاً الرشيد، إذ كان يقول عنها: " نظرنا لماذا كل ذهب وفضة على وجه الأرض لا يبلغ ثمن دخل البصرة "[٥]. ويبدو أيضاً أن أنهار البصرة كانت كثيرة جداً حتى قيل أنها أكثر من أربعة آلاف نهر تجبى في كل يوم من كل نهر مثقال ذهب وقوصة تمر[٦]، حيث يعتقد أن هذه المقادير كانت تجبى من السفن التجارية المارة في هذه الأنهار

---

(١) **المربد:** سوق كان في الأصل للجمال والمقصود بالمربد محبس الابل ومربطها، والمربد أيضاً بيدر التمر. أنظر: سعيد الأفغاني، أسواق العرب، ص ٤٠٨ـ ٤٠٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص٩٨.

(٢) المسري، تجارة العراق، ص ٣٠١.

(٣) يوسف غنيمة، تجارة العراق، ص ٥٢.

(٤) اشتور،التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصر العباسي،ترجمة:عبد الهادي عبلة، مراجعة: أحمد غسان، دمشق، ١٩٨٥، ص١٣٧.

(٥) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٣٠٩.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣١٢ . ٣١٣.

والمحملة بالبضائع في أسواق البصرة. كما كان في البصرة أسواق متخصصة أيضاً مثل سوق الصيارفة والقداحين والقصابين والبلوريين وسوق الخلالين.

ويبدو أن الحركة التجارية في أسواق البصرة كانت تلاقي رواجاً كبيراً، ولم يقتصر العمل بالتجارة على فئة معينة دون الأخرى فالكثير من فئات المجتمع كانت تعمل بالتجارة[١]، والسبب في ذلك أن العمل بالتجارة كان يدر ربحاً طائلاً، والأسعار في البصرة كانت رخيصة جداً، فضلاً عن أن مستوى المعيشة أيضاً كان رخيصاً، اذ يذكر أن أحدهم زار مدينة البصرة وقد سُئِلَ كيف وجد البصرة ؟ فقال: خير بلاد الله للجائع والمفلس، أما الجائع فيأكل خبز الأرز والصحناء[٢].

وكان للبصرة أيضاً علاقات تجارية مع شبه الجزيرة العربية التي كانت ترتبط بروابط جغرافية وادارية، كما اتخذت القبائل المجاورة للبصرة سوقاً لها[٣]، وكانت البصرة ملتقى الرحلات التجارية القادمة من الصين والهند، واشتملت على مخازن للسلع التجارية التي تزود بها سائر مدن العراق[٤]. وكانت العلاقات التجارية بين البصرة وبغداد وثيقة جداً، وبرهان ذلك كثرة السفن التجارية الصاعدة والمنحدرة، كما كان في بغداد مرفأ خاص للسفن التي تأتي من البصرة، وقد أنشأ قرب هذا المرفأ سوق نشيطة، كما قامت الدولة بتعيين موظف في هذا المرفأ يأخذ أموالاً من التجار الذين يصدرون تجارتهم في هذه السفن، وقد كانت تجارة التمور في البصرة من أكثر التجارات رواجاً[٥]، لذلك كان للبصرة نشاط تجاري كبير ساعد على ذلك موقعها على ملتقى الطرق التجارية البرية والبحرية القادمة من الشرق والغرب، وهذا

---

(١) شارل، بلات،الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة: ابراهيم الكيلاني، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٦١، ص ١١١.

(٢) **الصحناء:** أدام يتخذ من السمك، المرجع نفسه، ص ٣٣٤.

(٣) الخيرو، رمزية عبدالوهاب،تجارة الخليج العربي وأثرها في الحياة الاقتصادية، بيروت،١٩٨٧،ص٧٣ .٧٤.

(٤) الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٣٢.

(٥) حمدان الكبيسي، أسواق بغداد، ص ١٨٦.

من شأنه أن يفيد في التبادل التجاري بين العراق وبلدان العالم، وكان أهل البصرة تجاراً ماهرين، ولكن ما يؤخذ على مدينة البصرة منذ تأسيسها أنه لم يخصص فيها مكان خاص للسوق عند التخطيط الأولي للمدينة[١]، ولكن الأسواق نظمت في محلات خاصة تلا ذلك من العصور التاريخية.

أسواق الموصل:

اعتبرت الموصل المركز التجاري الشمالي بالنسبة للدولة العباسية[٢]، فقد كانت تجارة أقاليم ديار بكر وأذربيجان وأرمينيا تجتمع في مدينة الموصل ومن ثم ترسل منها إلى بغداد[٣]. وقد عدّها البعض بأنها مفتاح خراسان وطريق أذربيجان، وكانت هذه المدينة تموّن العراق في أوقات الشدة[٤].

والموصل من المدن المهمة، ولقيت مكانة مهمة في الدولة العربية الاسلامية طيلة عصورها التاريخية، وبقيت هذه المدينة العريقة تلقى إهتماماً كبيراً في العصر العباسي أيضاً،فضلا عما ما كانت عليه سابقاً[٥]، وقد أدرك الكثير من الجغرافيين العرب أهمية هذه المدينة فوصفوا فناءها وأسواقها وعمرانها وخيراتها التي جذبت الكثير من الناس وقصدها التجار ليحققوا الكسب الوفير من تجارتهم، واكتسبت الموصل أهمية تجارية لموقعها كما قلنا سابقاً، وقد نشطت الحركة التجارية بسبب موقعها الأستراتيجي باعتبارها حلقة الوصل بين شمال ووسط وجنوب العراق وبين أقاليم الشرق والغرب وبلاد الشام.

---

[١] بلات، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ص ٣٣٢.

[٢] **الموصل:** مدينة قديمة تقع على ضفة نهر دجلة الغربية في شمال العراق وبيوتها مبنية من الجص والحجارة وليس لأهلها مزارع على ضفاف دجلة إلاّ القليل وسميت بالموصل لأنها وصلت بين اقليم الجزيرة والعراق أو بين دجلة والفرات. اليعقوبي، البلدان، ص ٢٣ ؛ الأصطخري، المسالك والممالك، ص ٧٣.

[٣] اليعقوبي، البلدان، ص ٢٣.

[٤] ياقوت الحموي، معدم البلدان، ج ٢، ص ٤٢٤ ؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص ١٥٨ . ١٥٩.

[٥] السلمان، عبد الماجود، الموصل في العهد الراشدي والأموي، الموصل، ١٩٨٦، ص ١.

كما تمتعت الموصل بمناخ جيّد شجع الناس على التوجه إليها حتى قال البعض عنها: " من أقام بالموصل حولاً ثمَّ تفقد قوته وجد فيه فضلاً "(١).

أما فيما يخص النشاط التجاري في مدينة الموصل، فقد توسعت أسواقها وانتشرت كثيراً، وخصوصاً في العصر العباسي بسبب ازدهارها اقتصادياً كما تنوعت أسواقها، فمنها الموسمية ومنها الدائمية وكانت موجودة داخل المدينة و خارجها، وقد عملت هذه الأسواق على تلبية الحاجات المتزايدة للسكان،فضلاً عن تمويل الجيوش المرابطة فيها، وكان تجار الخلافة ينقلون البضائع منها وإليها، وكانت الأسواق فيها تقع حول المسجد الجامع وجواره(٢).

وتناولت العديد من المصادر التاريخية أسواق الموصل وكان أبرزها تاريخ الموصل للأزدي المتوفي سنة ٣٣٤ هـ، ومما قاله عن أسواق الموصل: "إنّ أول سوق شيد حول المسجد كان يعود إلى عهد الخليفة المهدي، وعندما أراد الخليفة توسيع المسجد زاد عليه الضفاف الدائرة وكانت عبارة عن مجموعة أسواق وحوانيت، وقد شملت هذه الزيادة الأسواق القريبة من السوق المركزي في الداخل وسوق البزازين وسوق أو درب السراجين، فضلاً عن سوق السقط، وكانت هذه الأسواق مع قلّتها تجلب المشترين والتجار "(٣)، وكان في الموصل سوق قريبة من الجسر تسمى بسوق الحر نسبة إلى الحر بن يوسف(٤).

وقد عرفت الموصل أيضاً الأسواق المتخصصة منها أسواق القصابين وسوق الطعام وسوق البزازين، فضلاً عن سوق السراجين الذي كان يختص بالمنتجات الجلدية كالسروج والأحزمة والحقائب والأحذية وأعنة الخيل، وكان هناك أيضاً سوق الشعارين وسوق الخيل، وكان هنالك أيضاً سوق الحشيش وسوق الدواب(٥)، فضلاً عن سوق

(١) أبو حامد الأندلسي، محمد بن عبد الرحمن، تحفة الألباب، القاهرة، ١٩٢٥، ص ٢٠٦.

(٢) الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد بن ألياس، تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبية، لجنة التراث، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١١٦.

(٣) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٢٤٨.

(٤) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٥) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١٥٢ ـ ١٦٦.

القتابين[١]، وكان المنصور قد أمر بنقل معظم هذه الأسواق إلى مقبرة المدينة، ثم إلى الصحراء بعد ذلك[٢].

ويبدو أن من المظاهر المهمة التي كانت موجودة في أسواق الموصل أنها كانت موزعة بشكل منظم، فكل سوق يضم نوعاً خاصاً من البضائع[٣]، وعلى الرغم من التنظيم الجيد لأسواق الموصل إلاّ أنه مما يؤخذ عليها هو قربها هو قربها من نهر دجلة، وقد كان السوق المعروف بسوق الأربعاء يتعرض كثيراً للفيضانات، بل أن المياه كانت تدخل إلى هذا السوق وإلى عدد من الأسواق الأخرى[٤].

هذا وقد عرفت أسواق الموصل ما يسمى بـ(القياسر) ومفردها قيسرية، وهي عبارة عن مجموعة من الدكاكين،ولها باب واحد، ومن أشهر هذه القيسريات الموجودة في الموصل هي قيسرية الدوري التي كانت تضم نحو ستمائة وتسعون حانوتاً[٥]، وهكذا نشطت الحركة التجارية في الموصل حتى بلغ ما كان يجبى من أسواقها ما قدره عشرة آلاف درهم في كل يوم[٦].

ومن الأسواق الأخرى المهمة التي كانت موجودة في الموصل هما سوقا الأحد والأربعاء اللذين كانا يعقدان في كل أسبوع، حيث كان الفلاحون والتجار يجتمعون للبيع والشراء اسبوعياً في هذا السوق[٧]، ويبدو من اسمائها أنها كانت تعقد يومي الأحد والأربعاء من الأسبوع.

وقد عرفت مدينة الموصل برخص أسعارها[٨]، وحجم النشاط التجاري في هذه المدينة كان كبيراً جداً، ويتضح ذلك من كثرة الخانات والفنادق التي انشئت في المدينة

---

(١) **القتابين:** بكسر القاف وسكون التاء وهو يوضع على سنام البعير، الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٢٤٠.

(٢) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١٦٦.

(٣) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١٦٦ . ١٦٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٣٥.

(٥) الديوه جي،سعيد،الموصل في العهد الأتابكي،بغداد،١٩٥٩،ج١،ص٤٧.

(٦) المسري، تجارة العراق، ص ١٠٦.

(٧) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٦٧ . ١٦٨.

(٨) ناجي،عبد الجبار،دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية، البصرة،١٩٨٦، ص ١٤٤

للقادمين من أماكن بعيدة، وخصوصاً التجار وسائر المسافرين، بل أن معظم هذه الفنادق كانت تقام داخل الأسواق، فضلاً عن الفنادق والخانات على الطرق الخارجية، أي التي تربط الموصل بأقاليم الخلافة العباسية المختلفة[١]. ويبدو أن فكرة إقامة الفنادق داخل الأسواق كان الغرض منها البقاء التجار على مقربة من البضائع التي جاءوا بها أو بالقرب من المخازن التي وضعوا البضائع فيها.

وقد أدرك العباسيون المكانة الكبيرة للموصل لكونها المصدر الرئيسي لتموين حملاتها العسكرية وتمويلها ضد الدولة البيزنطية، ولا سيما في العصر العباسي الأول في عصر الخلفاء الرشيد[٢] وابنيه المأمون والمعتصم، لذلك كانت الموصل من مدن العراق المهمة التي تأتي بعد بغداد والبصرة، إذ حباها الله بموقع متميز ومناخ جميل وأسواق زاهرة، كانت محط انظار الكثير من التجار في العصور العباسية.

Abstract

The Main Iraqi Markets in the Abbasid Period

Dr. Muhammad S. Hassan (**)

The Markets are considered as one of the remarkable aspects of the Islamic and Arab societies in Iraq and other countries. These market played a great role in crystallizing the fiscal, social and economic systems. They played a huge role in the people's life since they are part of the interactive economic process. Arabs were well acquainted with markets even in the preislamic ages. These markets are of many kind, some of them are seasonally opened and some others and opened annually. The current study aims at studying the main markets in Iraq during the Abbasid era and the role of these markets in flourishing the social life at the time.

---

[١] مجهول،تاريخ الرهاوي،تعريب:الأب البيزا أيونا،مطبعة شفيق،بغداد،١٩٨٦،ج٧،ص٣٧.

[٢] مجهول، تاريخ الرهاوي، ج ٢، ص ٣٧.

(**)University of Mosul /College of Arts / Dept. of Histoy.